مؤتمر عاشوراء الأول
تحت عنوان:
الممارسات العاشورئية
نقدا ومعالجة

المجلس الإسلامي العلمائي

الحضور النسائي في الشعائر الحسينية

رقية الكنكوني
مديرة حوزة الغريفي النسائية (أم مقداد)

مقدمة

من أهم المرتكزات التي اعتمدتها الشريعة الاسلامية لبقاء جذوتها النيّرة دائمة الاشتعال، وقادة التأثير، صلبة الأساس، جليّة العطاء:

١- اعتمادها أساليب متنوعة تمسّ وجدان الانسان، وتحيي فيه جبلّته الطاهرة وترقى بروحه وسلوكه.

٢- تفعيل الشرائح المجتمعية على اختلاف مذاهبها وقدراتها.

٣- توفير الغطاء الشرعي:

أ- بالنص على قيادة شرعية نافذة التأثير مطمئِنَة في كل المراحل الزمنية.

ب- تواتر النصوص الداعمة لمركز القيادة المؤطرة للفكر الاسلامي الاصيل.

فنرى أدواراً للقيادة الشرعية متباينة الظاهر موحّدة الهدف تصبّ كلها في تأسيس المجتمع الاسلامي وتكامله وتشذيبه من كوامن الانحراف والتي تصيب المجتمعات عادة بتقادم الأطروحات وتعاقبالمتبنّيين لها. فلعليّ عليه السلام طور اختلفت صورته عن طور سلكه ابنه الحسن عليه السلام، وللحسين عليه السلام طور مختلف وكذا بقية القادة الهداة.

لكننا نرى أنّ نهج الامام الحسين عليه السلام أُولي عناية خاصة من بين هذه الأطوار المختلفة والتي تبينت في:

١- عناية الرسول صلى الله عليه وآله أكمل عناية في تبيان امتدادية النهج الحسيني وانطباقه صورة وهدفا وبُعدا بالرسالة المحمدية» حسيني مني وأنا من حسين»

٢- إقامة مجالس العزاء لحادث الطف من قبل وقوعها سواء من النبي(ص) وصحابته أو من وصيه والتي تكشف عن مدى أهمية وحث شديد وتجسيد عملي لموقف الأمة من هذه الفاجعة.

٣- الحث المستمر من الأئمة الأطهار عليهم السلام على ابراز هذه المظلومية واشاعتها وتركيزها وبيان جزيل ثوابها وأطر أبعادها على المستوى السياسي والاجتماعي وغيرها.

٤- البيان الصريح للآل عليهم السلام بشمولية التكليف الإحيائي لهذه الفاجعة وانها ليست مقصورة على المجتمع الرجالي وانما للنساء دور أس إن لم يكن الأفعل في بيانها وتعميق اثرها.

في هذه الورقة الخاصة بالحضور النسائي في الإحياء العاشوري سنسلط الضوء على عديد نقاط تمس هذا الجانب بشكل تدريجي حتى نكوّن منهجية عملية ناجحة تعكس دورا فاعلا جدا لنخلص الى تجسيد شعيرة ملتزمة حيّة بعيدة الأثر حضارية الشكل والمضمون:

١- بدء الحضور النسائي في الشعائر الحسينية ، صوره وأهدافه :

لعل سيدتنا الزهراء عليها السلام هي الرائدة الحاضرة الغائبة في مجال إحياء هذه الشعيرة المقدسة واتبعت نساء آل البيت خطاها، ولا نفاجأ حين نسمع أن رجالات المسلمين ممن تلطخت أيديهم من الدماء الزاكية تكون نساؤهم من أوائل المعزيات والنادبات، في هذا الجانب سنعرض كيف بدأ هذا الحضور الفاعل والذي اعطى للفاجعة مساحة كل الزمان والمكان وأهم الصورالاحيائية والاهداف التي تبلورت و تحققت في بدء الحضور النسوي في الإحياء العاشوري.

٢- تطور الحضور النسائي في هذه الشعائر:

، في هذا العنوان سنتدرج في طرح الحضور النسائي وتطور آدائه وتنوعه بعد واقعة الطف حيث لا يخفى على احد ان وسائل التعبير والتعريف خاضعة الى الظروف الواقعية المعاشة وان مجال صعود أدائها وهبوطه مرتهن بهذه الظروف.

٣- واقع الحضور النسائي في الشعائر الحسينية في المملكة :

في هذه الجانب سنسعى لابراز أهم الانشطة النسوية في الإحياء العاشوري في مملكة البحرين سواء ما يختص بالمنهجية القديمة السائدة والتي ما زالت تحظى بكبير عناية من النساء ونقارن بينها وبين الأطوار الحديثة والأدوار المختلفة والتي سعت المرأة لإبراز هذه المناسبة من خلالها.

٤- ما يشوب الحضور النسائي في الشعائر الحسينية :

سنطرح في هذا الجانب شذرات مركزة على اهم ما يعتري هذا الحضور من شوائب تجعله فاقدا لبعد التأثير العملي بدرجة ما، متأخراً بنحو ملحوظ عن مواكبة متطلبات عصرنا، مما ينعكس سلبا على الصورة المشرقة في مضمونه وضياع كثير من المجهودات المبذولة.

٥- الحلول المتصورة للترقي بعملية الحضور النسائية :

لابدّ لنا بعد عرضنا لما يشوب عملية الحضور النسائي من طرح العلاجات الممكنة للتقليل ما أمكن منها وتطوير هذا الحضور وذلك بإيجاد وسائل عملية عديدة تبرز بركات المجهودات الكبيرة المبذولة من قبل العلماء وكوادر العمل والمنظمين.

الفصل الأول

بدء الحضور النسائي في الشعائر الحسينية ، صوره وأهدافه :

قلنـا أن سيدتنـا فاطمة الزهراء هي أول مـن بكت على ولدها وأقامت له العزاء حين أخبرهـا أبوها المصطفى(ص) بما يجري عليه وأن الله جلّ وعلا هيأ له من يبكون مظلوميته من الرجال والنساء جيلا بعد جيل إلى يوم القيامة.

بعد مقتل الحسين(ع) لعبت النساء الهاشميات دورا بارزا في بيان هذه المظلومية وآثارها الكاريثية على الأمة بأنه لا حرمة لأحد ولا لشيء عند السلطات الجائرة بعد الإعتداء المباشر على الممثل الشرعي للشريعة المقدسة بهذه الصورة الفظيعة ولا ندعـي إذا قلنـا أن النساء كان لهنّ السبق في إقامة هـذه الشعائر وأن البدأة كانت من قبلهن في عديد مواقف بمختلف صور وركنت الى جملة أهداف فمن هذه الصور العزائية:

١- عقـد المـأتم الاول في العراء فـوق ساحة المعركة وتحـت بقايا شمس اليـوم العاشر من المحرم، حيـث القلوب مثقلة بالأشجان والصدور ملأى باللوعة، تعالت فيها صرخات نساء بني هاشم في كل ركن من أركان الطف.

٢- اقامـة المـأتم في وسط الطريق عندمـا سيقت النسـاء أسارى إلى الشام، فعلـى طول الطريق كانـت النساء يندبن قتلاهن وينشرن مظلومية أهل البيت(ع).

٣- النياحة على فاجعة الطف في عقر دار الأمويين حيث استقبلت نساء بني أمية نساء الآل المفجوعات بالسواد وخلعن الحلي و ثياب الزينة وندبن الحسين(ص) معهن في قصر يزيد الطاغية وغيرها من البيوت.

٤- كانت الخطب النارية من هاشميات الآل من أهم صور الندب وفي بيان هذه المظلومية والفاجعة الأليمة وخطب عقيلة هاشـم وبقيـة النساء في الكوفة والشام وقصر الطاغية وما حملته من أسمى معاني التفجع والألم وبيان الكارثة المهولة غنية عن التعريف.

٥- أم سلمـة كانت السباقة الى عقد أول مأتم عـزاء في المدينة المنورة، فقد عهد اليها الرسول الكريم بقاروة فيها تربة من كربلاء وأخبرها متى ما صارت دما عبيطا فقد قتل الحسين، فلما رأت ذلك صاحت واحسيناه فتصارخت نساء المدينة وآتينها يعزينها ويواسينها تارة بالنثر وتارة بالشعر.

٦- بعـد رجوع نساء الآل المكلومات المسبيات الى كربلاء وجدوا جابر الانصاري جاء لزيارة قبر الحسين(ص) فتلاقوا بالبكاء والحزن وأقاموا المآتم واجتمع إليهم نساء ذلك البلد واقاموا على ذلك أياما.

٧- عندما رجعت النساء الهاشميات إلى مدينة جدهنّ أقيمت المآتم ولبسن السواد وكنّ لا يشتكين من حر ولا برد وكان الامام علي بن الحسين(ص) يعمل لهنّ الطعام للمأتم.

٨- إقامـة المـآتم من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام وكان للنساء الحضور الفاعل حيث كانت الستور تضرب دونهنّ ويجلسن للاستماع الى انشاد الشعراء في ندب الحسين(ع) وربما يعلو الصراخ منهن ويسمع تفجعهن ونياحهن.

٩- كان الأئمـة عليهم السلام يوصـون باستئجار النادبات لندب الحسين عليه السلام وخاصة في مواسم الحج في منى فتقام المآتم في هذه الأيام بين الحجيج .

١٠- اظهـار الحـزن الطويل والكمد الأليم من نساء الآل كان من الصور التي دام تأثيرها القوي حتى باتت تقلق الأمويين فـنرى علـى سبيل المثال كيف أن الهاشميات ما اكتحلت لهنّ عين ولا اختضب لهن شعر إلا بعد سنين يوم أن أخذ المختار بثأر الآل بقتلـه قتلة الحسين وأهل بيته عليهـم السلام، كما ان عزوف الرباب زوج الحسين عن الزواج من أشراف القوم ومكثها

عاما على قبره علامة بارزة في امداد هذه المظلومية بالروح وخلود التاثير.

١١- التعددية الإحيائية في شعائر عاشوراء، فكانت العديد من الدور يجللها الحزن ويقام فيها العزاء فكان لأم سلمة كما ذكرنا دار للعزاء ولأم البنين كذلك وللهاشميات أخرى.

١٢- من صور المشاركة النسائية في الشعائر ما عمد إليه المختار الثقفي بحسب المصادر التاريخية من إقامة اول مجلس تأبيني في داره في الكوفة بمناسبة عاشوراء وأنه أرسل بعض النادبات الى شوارع الكوفة للندب على الحسين عليه السلام.

١٣- كان للسيدة العقيلة الحضور البارز المتعدد الصور ذو التأثير الفاعل، فنراها لم تكتف بأدوارها المختلفة مع الحسين وبعد قتله في الكوفة والشام بل تعدى ذلك الى صورة بالغة ومشاركة قوية فبعد رجوعها الى المدينة كانت تستغل كل زمان ومكان مناسبين لتوضيح أسباب الثورة وقداسة أهدافها، وتكشف حقائقها ومعالمها حتى ضج من ذلك عامل الأمويين في المدينة وخشي قيام الثورة خاصة بعد أن رفع ابن الزبير شعار طلب الثأر للحسين(ع) فأمريزيد عامله بلزوم اخراجها من المدينة.

١٤- كما أن النساء كان لهنّ دور بارز في تأسيس زيارة الحسين(ع) في النصف من شعبان، وكان التشجيع السافر من الأئمة عليهم السلام لما يقمن به ويؤسسنه. ففي حديث حماد البصري أن الصادق عليه السلام قال له:» بلغني أن قوما يأتونه من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعباب، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي» فقلت له: نعم، جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف، فقال» الحمدلله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، ويمدحنا، ويرثي لنا.....»

البدء بندب الحسين عليه السلام كان من آل البيت الكرام(ع)، وتطور أداء هذه الشعيرة وأصبحت متعددة الأشكال حيث أصبحت وسيلة إعلامية هامة ومحورية في بيان منهجية الاسلام وأهدافه ومصدرا لديمومة بقائه، وما تركيز الأئمة عليهم السلام والفقهاء الأجلاء على أحياء هذه الشعيرة إلا لتثبيت هذه الأهداف، ولا يخفى على أحد ما للحضور النسوي من أثر بالغ في تحقيقها وتدعيمها، فالمرأة إما أمّ مربية أو زوجة أو أخت وكل هذه الأدوار تعكس تأثيرا جادا وفعالا في تحريك همة الرجل سلبا أو ايجاباً. صحيح ان الحادثة تضج بأرقى معاني العاطفة وتستثير كوامنها الجياشة وهذا من اكبر الدوافع للتأثير في شرائح النساء للتلائم الحاصل بين ما جبلن عليه وبين ما جاشت به هذه المظلومية لكن هذا لا ينبغي الا ان يتخذ دعامة قوة ودفع لتركيز هذه الأهداف وبلورتها.

فمما حققه الحضور النسائي في هذه الشعائر:

١- شياع هذه المظلومية ونشرها، فنساء الآل لم يكنّ يبكين الحسين بدمعات صامتة وصوت أخرس، بل ان لأشعارهن وخطبهنّ وشعاراتهنّ المركزة بالغ الأثر في نشر هذه المظلومية.

٢- التأكيد على مبدأ أحقية الآل في المنصب الشرعي السياسي لإدارة شؤون الأمة، وأن هذه القسوة المفرطة والمجزرة الرهيبة لم ترتكب الا لاجتثاث الممثلين لهذا المنصب وذراريهم حتى ينتفي المطالب به لعقود .

٣- التأكيد على أفضلية الآل الكرام على من دونهم من الناس علما وخلقا وايمانا وغيرها مما فُضلوا به، وهذا ما يفسره الجزع البالغ من نساء الشام والمدينة عند سماعهم خبر الفاجعة، فهم يندبون الأفضلين بنص الكتاب والسنة.

٤- تحذير الأمة من المخطط الكبير المعد لتحريف شريعتها ، وإن الاعتداء على رمز الشريعة تمهيد للتعرض لها بما يحرفها في أساسيات فصولها.

٥- كان الحضور النسائي لتفعيل هذه الشعائر اقامة للحجة على كل الامة وإزالة لأي مظهر خوف وخضوع واستكانة لما تمليه المؤسسة الحاكمة عليها.

٦- نـدب النســاء فاجعة الحسين عليه السلام وإقامة العزاء كان بهدف تحريك الحمية وتأسيس لمبدأ الثأر، فالعرب لم تكن لتصبر على تفجع النساء وبكائهن ودعائهن بالمصيبة واظهارهن الجزع.

٧- تعميـق الـولاء لمنهج الآل الكرام، الـولاء الصادق المهيئ للبذل، الـذي يجعل جذوة الارتباط دائمـة الاشتعال وقادّة الأثر.

٨- التأسيس لأرضية صلبة، ووسيلة بث حي، تتبلور فيه معالم تراث الآل، وما مآتمنا والبركات التي حظينا بها إلا نتاج هذا الصرخة النسوية. فالمآتم أضحت مدارس للآل يوم أن عزّت كل وسيلة إعلامية موثرة.

٩- كان احياؤهـنّ درعـاً واقيـاً حفظ الشريحـة النسوية من الإنزلاق في مهـاوي الرذيلة المتمثلة في النـوادي والمجاميع اللهوية فحضورهنّ الدائم في الإحياء العاشوري صرفهنّ لباً وقلبـاً عمـا يشين فبات الحسين(ع) حباً أسطورياً وشغفاً يمسين ويصبحن عليه.

١٠- كان للحضـور النسائـي المكثف في الاحياء العاشوري دور في الحفاظ علـى التراث الأدبي في فنون الندب والمواساة، فحفظ النساء المعزيات لقصائد خلابة كان حثّ الأئمة (ع) على حفظها مؤكداً كان من بركات هذه الإحياءات.

هـذه جملة من المنجـزات المحققة من المشاركة النسويـة في الاحياء العاشوري ابتداءا وإن كانـت انجازات وبركات دعوة أئمتنا الكرام عليهم السلام لإحياء هذه الشعيرة لا يمكن ايجازها وحصرها في هذه الجنبة الضئيلة.

الفصل الثاني

تطور الحضور النسائي في الإحياء العاشوري:

المتتبع للحضور النسائي في الإحياء العاشوري خلال ثلاثة عشر قرنا لا يرى درجات التطور والرقي في الإداء والطرح الفكري والعلمي بمستوياته المختلفة والذي برز في المشاركة الرجالية بشكل لافت بحيث وصل الى مستوى راق من النضج والفعالية والتنوع، بل بقي الحضور النسائي كما كان في بدئه، من إلقاء المرثيات والاشعار في ندب الحسين وآله والنياحة وسكب العبرات، فقد كانت صور العزاء والإحياء النسوي كما مرّ عبر إقامته في البيوتات او في أماكن مخصصة حيث تلقي النادبات اشعار الندب وتعلو النياحة والصراخ على الفقيد الزاكي، وقد يقرن الاحياء النسوي في بعض المناطق بمقاطع تمثيلية تحكي مشهدا من مشاهد يوم الطف بشكل بسيط صامت او مشاركة محدودة في مواكب العزاء وغيرها من أشكال الحضور في بعض المناطق دون غيرها.

فبعد واقعة الطف الأليمة كانت جلسات الندب تقام علنا أو سرا حسب مستوى القمع والاضطهاد الممارس من قبل السلطات على مراكز تجمع الشيعة حتى وصل ببعضهم كالمتوكل الى منع اقامة المأتم الحسيني ومنع زيارة قبر الحسين عليه السلام كما انه تطرف في عدائه له فأمر بهدم القبر وما حوله من المنازل والدور وأن يبذر ويسقى موضع قبره.

لم يمنع ارهاب المتوكل الشيعة من المضي في إقامة العزاء او مراسيم الزيارة للقبر الشريف بل استمروا في ذلك نساء ورجالا بصورة غير علنية او بتحد مباشر فدفعوا الضرائب وقطعت منهم الأعضاء واسترخصوا كل نفيس في سبيل الحفاظ على هذه الشعائر حيّة نديّة.

وفي خلافة المأمون كانت المجالس تقام علنا ، فلقد تساهل المأمون كثيرا في مسألة إقامة المآتم وكان الإمام الرضا عليه السلام يقيم هذه الشعيرة في موسم عاشوراء.

بعد انهيار الدولة العباسية وصعود البويهيين الى السلطة في القرن العاشر الميلادي جاء معز الدولة البويهي وكان معه وزيره ابن المهلبي من الشيعة حيث أقاما احتفالات رسمية وفريدة في يوم عاشوراء فأمر بغلق الأسواق وسارت النادبات في شوارع بغداد وقد سودن وجوههن وحللن شعورهن ومزقن ثيابهن وهن يلطمن وجوههن ويرددن مرثية حزينة.

وفي كربلاء في مناسبة عاشوراء كانت النساء تخرج ليلا ويخرج الرجال نهارا حاسري الرؤوس حفاة الأقدام لمواساة الحسين(ع)

في هذه الحقبة تنفس الشيعة الصعداء، وأصبح الإعلان عن شعائرهم بذكرى عاشوراء أمرا متاحا وأخذوا يمارسون طقوسهم بحرية تامة وبصورة علنية حيث كان الشيعة يقيمون مجالس العزاء في القاهرة أيضا في مشاهد السيدتين أم كلثوم ونفيسة عليهما السلام. ويخرجون بمسيرات حاشدة الى جامع الأزهر حيث تقام التعزية وتفرش الموائد لإطعام المعزين.

وكذا في زمن الدولة الصفوية في إيران حيث تدين الدولة بالمذهب الجعفري مما سمح بانتشار المآتم وتعدى هذا الإحياء ايران الى الهند وآذربيجان والأناضول وبعض مناطق سيبيريا وغيرها.

في زمن الدولة العثمانية وتحت ضغط الباشوات انحسرت عملية الإحياء فكانت المجالس تقام سرا وفي السراديب بعيدا عن العيون والرقباء، وكان للمرأة دور أساس في التمويه على السلطات فكانت التعزية في على سبيل المثال تقام في سراديب بغداد وتترك بعض النساء في صحن الدار يدرن الرحى لكي لا يسمع المارة في الشارع صوت من يقرأ التعزية.

اجمالا بقى الحضور النسائي وإحياؤهن العاشوري في أغلب هذه الحقب مقتصرا على قراءة أبيات الرثاء من المرثيات

المشهـورة او مـن تصانيف القارئات باللهجات العاميـة او بالعربية الفصحى ، لكن في حين نرى تطورا ورقياً في أداء الجانب الرجـالي بجعـل مواسم عاشوراء مدارس للتثقيف ونشـر مآثر الآل وعلومهم، نرى وخاصة في الإحيـاء النسائي في مملكتنا الكثـير مـن الأساطير التي أدخلت الى كتب المرثيات والتي تكون في العادة مجهولة السند ولا تزال الكثير من مآتمنا النسوية تعتمد هذا النوع من المرثيات.

في بداية السبعينيات او في منتصف هذه العقد مع انتشار الصحوة الاسلامية بدأ الحضور النسائي في الإحياء العاشوري طـورا جديدا وبدا عليه تطور ملحوظ، حيث تنوعـت أساليب المشاركة النسائية واتخذت صورا عديدة درجت في رقيها حتى بلغت في يومنا هذا مستوى راق من التقديم. ومن أهم هذه الصور الاحيائية:

١- اعتمـاد اسلوب المحاضرات الذي بدأ بإلقاء مجموعة مـن النصائح الاخلاقية مع سرد بعض الوقائع التاريخية من قبـل محاضـرات تثقفن بجهد ذاتي او على يد بعض العلماء او من خريجات الحوزات، وتدرج حتى وصل الى مستويات عالية من الطرح الفكري والعلمي والتحليلي، وبعد انهاء المحاضرة تقرأ أبيات الرثاء الاعتيادية من قبل القارئات المعتادات لاقامة الإحيـاء. وفي الفـترة الأخـيرة عمدت بعض الحـوزات والجمعيات الى اقامـة دورات لتخريج خطيبات ومبلغـات وكان لهذه الخطوة اثر بالغ في اثراء الساحة بفكر رصين وقدرة فائقة على اقامة العزاء من قبل المحاضرة نفسها.

٢- المشاهـد التمثيليـة أصبحت اكـثر نضجا، فبعد ان كانت مجرد صور صامتة لموقف مـن مشاهد يوم الطف تدرجت في أدائهـا حتـى بتنا نسمع اليـوم عن مسرحيات مستقلـة يعلن عنها على مستـوى واسع مع استعـدادات كبيرة ومجموعات تمثيلية منظمة تحظى بتدريبات عديدة وديكورات وصوتيات خاصة يشرف عليها العديد من المختصين و المختصات في هذا المجال.

٣- اقامة الندوات والمواسم والمؤتمرات الثقافية بمناسبة عاشوراء.

٤- استضافة العديد من الشخصيات النسوية المتميزة على مستوى العالم الاسلامي.

٥- اقامـة المراسـم والمعارض الخاصة والتـي تعرض فيها ابدع الصـور الخاصة بهذه المناسبـة في العديد من المناطق وبمشاركة فنانات ملتزمات.

٦- شكلت اللجان التنسيقية واللجان الخاصة للمآتم النسائية مما ساهم في عملية تنظيم الاحياء.

٧- بـرزت في الفـترة الاخـيرة ظاهرة ملفتة تنبـأ عن تقدم ملحـوظ في الأداء النسوي في مواسم عاشـوراء وهي ظهور اصـدارات عديـدة وكتيبات قيمة ومقالات من قبل الشريحة النسوية تتناول هذه المناسبة وأهدافها وتحمل في طياتها العديد مـن جنبات الثقافـة العاشورائية العالية واضحت المكتبات زاخـرة بالعديد من المؤلفات والتي تتنـاول واقعة الطف باسلوب تحليلي راقٍ.

٨- في بعض الـدول كلبنان وايران هناك مشاركات نسائية في مراسيـم العزاء في يوم عاشوراء في شوارع المدن الكبرى حيث تقام لهن حلقات خاصة ويرددن شعارات تمس المناسبة وتربطها بمستجدات الساحة الاسلامية.

هناك الكثير من الصور الاحيائية للشريحة النسوية في وقتنا الحاضر في العديد من بلداننا الاسلامية والتي نرجو ان يتم التواصل بينها لتلاقح الافكار والاطلاع على المستجدات في هذا الميدان الشريف.

الفصل الثالث

واقع الحضور النسائي في الشعائر الحسينية في المملكة :

كمـا كانت البحرين سباقة لاحتضـان رسالة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بشغف والتزام عهد كانت كذلك بالنسبة لكل قضايا التحرر واحقاق الحقوق. ولج حبّ الآل نفوس جماهير هذه الأرض الطيبة مع باكورة دعوة الاسلام، وليس عجبا ان نقـول ان هـذه الارض المعطاءة كانت السباقة الى اظهار الحزن والتفجع وتقـرح الاكباد على مصاب شهداء الطف، عبر إقامـة مـآتم التعزية للرجال والنساء بشكل لافت في تعدده وتعداده، ففي كل قريـة ومدينة نصبت للآل محال تجاوز عددها المرافق الخدماتية فيها حتى لا تكاد تخطو رجلاك بعض خطوات إلا وترى راية سواداء تنبئ عن وجود مأتم للحسين(ع).

كان للنساء دور رئيسي في الحفاظ على هوية هذا البلد، وهنّ بحق من تصدق عليهنّ مقولة « كل يوم عاشوراء وكل أرض كربـلاء»، فتراثهنّ مـآتم الحسين، وحبهنّ الأبدي لمآتم الحسـين، وتسليتهنّ في عزاء الحسين، وسلوتهـنّ عند فقد الأحباب الحسين وصحبه.

مـن الواضحـات لدينا في هذا البلد الطيب أن مـا يبذل في سبيل هذا الأحياء يفوق بمرات عديـدة عدد النسمات المحيية لـه، ممـا ينفق من الباذلين والباذلات وبشكل خاص في مناسبة احياء عاشوراء الحسين عليـه السلام، لذا تقام التعزيات عندنـا تقريبـا في كل يوم من أيام الاسبوع كما في بعض المآتم، بما يسمى (العادة) حيث تقوم بعض النساء بإقامة عوائدهن في البيوت او في المآتم مما يجعلها عامرة طول العام بنسب عددية متفاوتة من جهة الحاضرات، وهناك نظام خاص لقراءة التعزيـة يكون بحسب المناسبات العديدة التي يحفل بها تاريخنا الجعفري بما يستوعبه من محال توقف ترتبط بالآل الكرام من وفيات ومواليد او مناسبات متعلقة كيوم احرام الحجاج وخروج الحسين من مكة و يوم وصوله لكربلاء او مناسبات تتعلق ببعض الانبياء كوفاة النبي يحي او السيدة مريم عليهما السلام.

تسعى صاحبات العوائد والقيمات على تنظيم شؤون الإحياءات لجس نبض الشارع من حيث التوجهات والرغبات والمستوى الفكـري للمعزيات فيعمـدن لجذبهن بكل وسيلة من توجيه الدعوات وتوفير الخطيبـة والمحاضرة الملائمة لتكثيف الحضور لتعم الفائدة ويعظم الأجر مما انعكس ايجابا على رفع مستوى الأداء العاشوري من قبل الشريحة النسوية.

مـا رافـق الصحوة الاسلامية من تطور في المشاركـة النسوية في الاحياء العاشوري في عديـد مناطق في الدول الاسلامية شمل هذا البلد الكريم، ومن الممكن عنونتة فيما يلي:

١- الارتقـاء بالطـور التقليـدي (مرثيات وبعض القصص الاسطورية الفاقـدة للسند) في كثير من المـآتم حيث سعى العلمـاء وبعض الشخصيات النسوية الملتزمة في تمحيص هذه الكتب الروائية وجعلها بصورة توافق الأداء التاريخي المتواتر والمعتمد.

٢- التواجـد في المـآتم الرجالية بشكل حاشـد حيث تخصص معظم مآتم البحرين الرجاليـة مكانا خاصا بالنساء، ولا يخفى على احد ما كان لهذه المشاركة من اثراء واكتساب الخبرات اللازمة لوضع اللبنات الاساسية لمشاركة نسوية جادة في عملية الاحياء العاشوري.

٣- الاعتمـاد بشكل كبير في المـآتم النسائية على المحاضرات الاسلاميات الملتزمات واللاتي يطرحن جوانب عديدة من تراث آل محمد صلى الله عليه وآله والحوادث التاريخية بتحليلاتها المختلفة وخاصة الحوادث المتصلة بفاجعة عاشوراء الى جانب قراءة أبيات الرثاء بأطوارها المعتادة .

٤- ادخال عنصر التمثيل الجاد الفاعل والذي يصور الفاجعة بصورة ملتزمة رصينة مع الحرص على الضوابط الشرعية متزامنا مع الطور التقليدي في الرثاء او مستقلا حيث يعلن عنه مسبقا وعلى نطاق واسع وقد أقيمت العديد من المسرحيات الجادة في مآتم عديد مناطق وكان لها التأثير البالغ وخاصة في أوساط الشابات.

٥- اقامة الندوات والحوارات والمؤتمرات والتي تتناول الواقعة وما يتصل بها من مستجدات من واقع اليوم كما تمّ استضافة العديد من الشخصيات النسوية المتميزة على مستوى العالم الاسلامي في مواسم عاشوراء وغيرها مما كان له أثر طيب في التعارف والتعريف وتلاقح الافكار والرؤى.

٦- عمل اللجان المنظمة والمختلفة بهدف الترقي بالأداء الاحيائي وتقديمه بشكل لائق.

٧- اصدار كوبونات تمس المناسبة بهدف بيعها والاستفادة من ريعها في عملية الاحياء وتوفير مسلتزماته وخاصة في المآتم الشبابية.

٨- عقد الاجتماعات الخاصة لتقييم الأداء العاشوري النسوي وتوفير أهم أسباب انجاحه وتفعيله.

٩- في الفترة الاخيرة سعت اللجان المختلفة للمآتم النسائية الى تكوين لجنة تنسيقية بهدف تلاقح الافكار وتطويرها وتنظيم المشاركة النسوية سواء في موسم عاشوراء او غيرها من المواسم.

١٠- المشاركة بفعاليات مختلفة كحملات التبرع بالدم في موسم عاشوراء الحسين والتي تلاقي اقبالا كبيرا من الجانب النسوي، وحملات التبرع بالمواد العينية والمالية باسم سيد الشهداء عليه السلام لدعم الأسر المحتاجة.

ولا نغفل هنا ما للنساء من مشاركة ضخمة في خدمة مآتم الآل الرجالية والنسائية، وتوفير مستلزمات القراءة والعزاء واعداد الموائد على حب الحسين وأهل بيته عليهم السلام فنرى نساءنا وحتى الموسرات منهن يتشرفن بالخدمة في هذه الشعائر ولقب (خادمة الحسين) لقب تشريفي تفخر كل امرأة بنيله وتسعى مخلصة للقيام بوظائفه بشكل لافت ومنظم حتى ان الزائر لهذه المآتم يرى فيها كبير عناية وتنسيق بديع ونظافة ملفتة. جزاهن المولى خير الجزاء وأنالهنّ شفاعة مولاهن الحسين وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

الفصل الرابع

ما يشوب عملية الحضور النسائي في الاحياء العاشوري:

عمليــة التقييم السنــوي للاحياء العاشوري ضرورية للاطلاع على مواقع الخلل في التطبيقات السالفة، وملاحظة الملائم من القرارات والفعاليات مع مستجدات الساحة ومتطلباتها، ومن المؤسف ان لا تجد في الكثير من المآتم النسائية هكذا تقييم لافتقارهــا الى أساليــب تنظيم اللجان وتوزيع العمل لكون قيمومتها في يد كبيرات في السن واللاتي لا يدركن ما لهذه العملية من كبير أثر حتى في أصغر الفعاليات فما بالك بهذا المهرجان الديني الضخم والذي يستمر بزخم كبير لمدة شهرين من كل عام ناهيك عن الفترات المتقطعة في بقية أيام السنة.

صحيح أن مواسم عاشوراء تعطى أهمية كبرى في هذا البلد المعطاء وتصرف لأجل اقامتها ملايين الدنانير وتحظى بكبير حضور ولكنها ككل عمل لابد له من عملية فحص وتقييم للاطلاع على الثغرات المؤثرة ومحاولة وضع الحلول الناجعة لرتقها وتلافي اثرها السلبي.

فمما يشوب عملية المشاركة النسائية في الاحياء العاشوري:

١- اصــرار بعض المآتم النسائية على الاعتماد على النهج الروائي التقليدي والموبوء بأساطير فاقدة السند بالرغم من وجود البديل المشرف والمناسب لهذه الجنبة كما اسلفنا.

٢- الكثير من المآتم تشكو من صعوبة تحصيل محاضرة او خطيبة مقتدرة للأحياء العاشوري .

٣- المشاركــة النسائية رغــم تطورها وتعدد آشكالها وتنامــي جمهورها إلا أنها ضعيفة التأثــير في التهذيب والتشذيب السلوكــي، فمظاهــر التفســخ والمجاهرة بالمحرمــات وخصوصا في أيــام الاحياء العاشــوري ما زالت متفشيــة وخاصة بين الشابات.

٤- بالرغم من كثرة المآتم وبيوتات العزاء الا ان بعض المؤسسات النسوية تفتقد المكان المناسب للاحياء.

٥- في الوقت الذي يلاحظ فيه الانفاق ببذخ بشكل تهدر فيه الاموال في بعض المآتم نرى أخرى تشكو من قلة الموارد مما يؤثر سلبا على عملية الإحياء.

٦- الحضور النسائي الكثيف في شوارع المنامة حيث الاحياء العزائي مما يوجد اشكالات ومخالفات شرعية كثيرة.

٧- رغــم كــثرة المآتم النسائيــة وارتقائها في مسألة الطرح العاشــوري وتناولها للكثير من القضايــا التي تمس بصرخة الحسين (ع) إلا أن نساؤنا ما زلن يفتقدن الوعي الحقيقي والاستيعاب الفعلي لعملية الاحياء وهادفيتها.

٨- الإنشغال الكبير من قبل القائمات على الإحياء والحاضرات حيث الحرص على تكريس مجمل الوقت للمشاركة في عاشوراء الحسين(ع) يؤدي الى إهمال الأسرة وشؤونها مما ينشئ قصورا في عملية الإحياء التي تهدف فيما تهدف إلى بناء أسرة قويمة مرتبطة كل الارتباط بواقع النهضة الحسينية وأهدافها.

٩- رغــم تنــوع الاحيــاء العاشورائي النسوي الا اننــا ما زلنا في طور متأخر عــن بقية المناطق الشيعيــة كما في سيهات والقطيــف ولبنــان وايــران والتي تعددت فيهــا أوجه الأحياء باستخــدام وسائل كثــيرة فاعلة كالمعارض والمراسم والمسارح والمشاريع التبليغية لأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى.

هناك كثير امور اخرى يقصر المجال عن ذكرها نظرا لضيق الوقت وعدم الرغبة في الاسهاب الممل.

الفصل الخامس

الحلول المتصورة للترقي بالحضور النسائي:

١- تخصيص مندوبات دائمات من قبل الجهات العلمائية المؤثرة (المجلس العلمائي مثلا) يمثلن حلقة الوصل ضمن خطة محكمة شاملة وتتلخص ادوراهن في:

أ- المندوبات حلقة الوصل بين المجلس وبين قيمّات المآتم أو اللجان المنظمة للاطلاع على البرامج المطروحة وكيفية ادائها وتقييم احتياجاتها من خطيبات او محاضرات او مدرسات او كتب روائية.....

ب- المندوبات حلقة الوصل بين المجلس ومسؤولات اللجان النسائية في القرى والمدن فبدل ان توجه الدعوة لهؤلاء لحضور فعالية ما قد يصعب التواجد بها او تُقابل بعدم اكتراث تبادر المندوبة بعقد اجتماع مع الكادر العامل في القرية او المدينة حيث تُطرح الآراء و تدرس الاحتياجات..

ت- المندوبات حلقة الوصل بين المجلس والحوزات والمراكز الدينية للتنسيق معها حول توفير الكادر الملائم من مدرسات ومحاضرات وخطيبات ومناهج.....

ث- طرح بعض مشاريع المجلس الخيرية بواسطة المندوبة وخاصة لدى قيمات المآتم والتي يمكن للمأتم المشاركة فيه(تسليم قائمة مثلا بمحال احتياج مالي معين بحيث يقوم المأتم بحملة تبرع باسم الحسين عليه السلام لبذلها من قبل المأتم مباشرة لمحل الاحتياج)

٢- الاهتمام بالشريحة الشبابية بصورة أكبر، والعمل على توفير أرضية مناسبة لجذبها والتركيز في هذه المواسم على الجانب السلوكي بطرق عملية مؤثرة منها:

أ- تخصيص شعار لكل موسم عاشورائي للشابات منفردا عن الشعار العام الموسمي، يمس هذا الجانب المهم وتخصص مساحة كبيرة من المشاركات العاشورية لتفعيل هذا الشعار (محاضرات- ملصقات (مدعمة بالرسم او الصور) - لافتات- اصدارات (قصص معبرة خاصة بشابات الطف وتضحياتهن على سبيل المثال)

ب- من الممارسات الخاطئة خلال تشكيل اللجان المنظمة في المآتم والأنشطة التركيز على الشرائح المعروفة بالتزامها واقصاء غيرها مما خلق فجوة بارزة بين الفئتين، لذا ينبغي الالتفات لهذه النقطة البالغة الاهمية خاصة وأن كثيرا من ذوات المهارات الفائقة والمواهب الخلاقة والتخصصات متهيأة عند هذه الفئة، واحتضانها يمثل ايجابية ذات حدين: تخليصها من واقعها و اثراء العمل الاسلامي.

٣- المساهمة في توفير مستلزمات الاحياء للفعاليات العاشورية عبر خطوات عديدة:

أ- تقصي احتياجات المآتم وخاصة الشبابية ذات النشاط الملحوظ والمميز ووضع القوائم اللازمة لعملية الفحص.

ب- توفير جهات داعمة او عبر حملة تبرعات في المآتم الكبيرة ذات الموارد الضخمة كما اسلفنا بواسطة المندوبات.

ت- في حال عدم توفر المكان الملائم للإحياء تتم مناشدة بعض الجهات المقتدرة في نفس القرية او المدينة ودعوتها من قبل جهة علمائية لافساح المجال وتوفير الجو المناسب لتفعيل عملية الاحياء او السعي لدى أصحاب المآتم الواسعة للتنسيق وفسح المجال لعملية الاحيا ء الشبابية.

٤- ترسيخ البعد الاسلامي والمحافظة على عدم تغييب الجانب الشرعي في المشاريع الإحيائية، كمشاريع التبرع بالدم مثلا ينبغي فيه الالتفات لعديد نقط حتى لا ينسلخ عن هويته الاسلامية :

أ- وضع الضوابط الصارمة من قبل القائمين على هذا المشروع والتي يراعى فيها الجنبة الشرعية من عدم حصول الاحتكاك المباشر بين النساء والرجال من المتبرعين والمتبرعات.

ب- تخصيص الكادر الطبي النسائي للمتبرعات من النساء والرجالي للمتبرعين من الرجال.

ت- عمل بعض الملصقات او المطويات للضوابط الشرعية الواجب مراعاتها جنبا الى جنب مع النصائح الطبية الواجب مراعاتها للوصول إلى عملية تبرع بالدم مأمونة.

ث- اختيار الكادر المناسب والملتزم من من المنظمين والمنظمات للإشراف على هذا المشروع.

ج- ترجيح الكادر الطبي الملتزم لهكذا مشاريع احيائية تعكس الجانب المشرق لعملية الاحياء وتؤدي الدور المنوط بها على أكمل وجه.

٥- الحضور النسائي الكثيف في شوارع المنامة في ليالي الاحياء أدى ولعديد سنوات الى اشكالات ومخالفات شرعية أفقدت هذه المناسبة كثيراً من مضمونها ودلت على قصور وعي بهادفية النهضة الحسينية ورغم ما طُرح وما سيطرح من علاجات لهذه المشكلة إلا أننا لا نعلق أملاً كبيراً على اجتثاث هذه الظاهرة المخيفة من جذورها ولكن لحدّها والتخفيف من نتائجها الوخيمة ينبغي:

أ- التركيز الشديد في عملية الاحياء العاشوري في المآتم من قبل المحاضرات والمحاضرين على هذا الجانب ومخاطبة الآباء والأمهات وتحميلهم جانبا كبيرا من مسؤولية هذه المخالفات الشرعية الخطيرة.

ب- كما اسلفت سابقا تخصيص جانب كبير من الاهتمام على الفئة الشبابية من تخصيص شعار خاص بها وترجمته بوسائل عديدة وفعّالة.

ت- تنظيم فعاليات نسائية عديدة ومتنوعة في ليالي الموسم العاشوري تستقطب هذه الفئة وتفعّلها (خيام مثلا تقدم فيها برامج متنوعة الى جانب التعزية على ان تكون بعيدة عن محال تواجد المواكب الحسينية)

ث- اختيار بعض الشوارع ذات الحضور النسائي الكبير واستخدام البث المباشر الحي من قبل علماء او تربويين او منظمين يقدمون بوسائل عديدة - توجيهات، مقابلات، شواهد قرآنية، أحاديث من تراث الآل....الخ

ج- وضع بعض القوانين التي تحدّ من هذه الظاهرة تُدرج في لافتات كبيرة.

ح- تشكيل لجنة نسائية خاصة بأماكن تجمع النساء مهمتها الأساسية تنظيم هذا التجمع والتقليل من التواجد المختلط وفق عملية ضبط محكمة.

٦- الانشغال في الاحياء قد يربك برنامج الأسرة ويؤدي إلى نتيجة عكسية، فليس الهدف من الإحياء إدرار الدمع والانغماس في الحزن مجردا من تركيز الانتماء للاسلام في نفوس منتسبيه بكل ابعاده الشاملة لكل جنبات الحياة... من التصورات العلاجية لهذا المورد:

أ- ينبغي من الأسر المساهمة بفعالية في عملية الإحياء وضع برنامج أسري خاص لهذه الأيام الشريفة يركز على اولويات:

- تعميق حالة الارتباط بالمناسبة بأساليب تربوية عديدة قدر المستطاع.
- اشعار افراد الأسرة بمراعاة انشغال الأم في سبيل هدف مقدس ينبغي التضحية له بالتخلي عن خدمات مقدمة عادة والتعاون التام.
- المشاركة في الإحياء كل حسب وظيفته وما يناسبه ووفق استطاعته.
- تنظيم الوقت..... الخ من الخطوات التي من شأنها التقليل من الآثار السلبية المترتبة على المشاركة في الإحياء

ب- سعي الجهات المعنية(علمائية- حوزات نسائية- جهات فردية...) إلى تخريج دفعات نسوية جديدة للتبليغ والخطابة نتيجة للطلب المتزايد عليها، وتجنب حصر الإحياء في محاضرات وخطيبات معدودات مما يؤدي الى إرباك الأسر.

ختاماً أقول ....رغم ما يشوب عملية الإحياء النسوي لموسم عاشوراء ورغم ان الحلول قد تكون غير ملائمة او ليس بالامكان تطبيقها نصاً الا ان ترك واهمال شائبات هذا الإحياء المقدس مدعاة لتفاقمها واخلالا بأهدافه، وكما اسلفت فإن عملية التقييم ومراجعة التطبيقات الاحيائية السالفة ووضع الحلول لتذليل عقباتها والاستزادة من جوانبها المشرقة لهي مما ينبغي وما يلزم لتطوير هذا العمل الشريف.

نسأل المولى عزوجل تقبل الاعمال بحق الحسين وأهل بيته وصحبه المستشهدين بين يديه عليهم جميعا سلام الله وصلواته. اللهم أنلنا شفاعة الحسين وازل عنا به الكرب واجعلنا ممن تنالهم بركاتك ورحماتك.

رقية الكنكوني

مديرة حوزة الغريفي النسائية (أم مقداد)